الكاتبة

قبل «آدم»، كنت كاتبة!

كانت الكتابة دائمًا هي وسيلة التعبير الأولى في حياتي، أقوى من الكلمات المنطوقة وأقوى من الصمت أو لغة الجسد. كانت الإنجليزية هي لغة التعبير الأولى في حياتي، اللغة العربية كانت تخنقني وتحاصر أفكاري. قبل «آدم»، كنت أكتب بالإنجليزية، وبعد محاولات عديدة، بدأت أكتب بالعربية العامية. كنت ثائرة غاضبة مقاتلة متمردة – هكذا كنت. أثناء فترة الحمل الأولى، غرقت في هرمونات النكد والاكتئاب وتوقفت عن الكتابة. في الثلث الثاني من الحمل، كنت أكتب لأكسب رزقي، تحولت الكتابة من متعة وقضية ومقدرة على التعبير إلى «سبوبة». كنت أجلس بالساعات في تركيز لكتابة مقال هنا أو مقال هناك، ثم أشعر بانقضاء الواجب بمجرد تسليم المقال.

بدأت أشعر بالزهد في الكتابة واجتاحتني رغبة عارمة في القراءة، بخلاف كتب الحمل والولادة والطفولة، وجدتني أقرأ كل ما وقعت عليه يداي باللغة العربية. قرأت روايات «كافكا» الكابوسية وروايات د. «نوال السعداوي» كلها وبعض من «فوكو» وغيرها. كنت

أتلذذ بالقراءة بصوتٍ عالٍ وكأنني أقرأ لـ «آدم». أتخيلني أعلمه القراءة ومتعتها وأحرره من القوالب وقيودها، وأبتسم ابتسامة خبيثة لا يفهمها سواي.

بعثت بكتابي الثاني، «الدنيا خيارة»، إلى دار نشر محترمة لتنشره. تواصلنا مرات عديدة للاستقرار على اسم الكتاب النهائي، وتفاصيل المراجعة، وأرسلت لهم صورة بطاقتي لتجهيز العقد، وأبلغوني بصدور رقم لكتابي. بحلول الثلث الأخير من الحمل، اعتذرت لكل المجلات التي كنت أكتب لها واعتذرت للقراء والمتابعات، وبدأت أنسج عشي وأفرشه استعدادًا لوليدي. مرت الأشهر الباقية من الحمل، وولد «آدم»، ونسيت كتابي تمامًا. نسيت كل شيء! نسيت كتابي ومحاضراتي الجامعية وكورسات التدريب والعلاقات العاطفية، كله انتهى!

شعرت، وتقبلت بكل حب، أن خلايا مخي تشيخ وتموت. شعرت بالبطء في التفكير وكأن هناك مظلة ثقيلة تكبس على أفكاري. شعرت أن ساحرة من ساحرات «والت ديزني» وهبتني طفلًا وأخذت في المقابل مَلَكَتي وموهبتي. زمان، كنت أقرأ رسائل القارئات والقراء، وأجد نفسي أقرأ سطورًا لم يسطروها وأرى بعيني الثالثة تفاصيل حياتية لم يذكروها. كنت أستشف الكثير من بين السطور، فأقدم النصيحة المناسبة للحائر أو الحائرة. ضاع كل شيء! أقرأ السطور، أفهمها بصعوبة! لا أستشف شيئًا! لا أقرأ ما خفي ولا ما ظهر! إنه الضباب التام.

تقبلت قدري، مثل الأميرات، ودفعت بكل حب موهبتي ومتعتي ثمنًا للأمومة المنشودة.